

حول أصل قاسم أمين للأستاذ محمد محسن البرازي

قرأت في العدد رقم ٢٥٥ من الرسالة للفراء مقالة الأستاذ الجليل الذي أجهل اسمه — فهو لا يوقع اسمه — وأقر بفضلته وأعجب بأدبه وسمة معارفه ودقة ملاحظاته . وعنوانها « قاسم أمين ، هل كان كردياً ؟ » وكنت اطلمت قبل ذلك على قصيدة الأستاذ الجارم بك

أما بيت القصيدة الذي يشير إلى أصل قاسم أمين الكردي :
يا فتى الكرد ، كم برزت رجالاً

من صميم الحمى ومن أعراجه
فقد كنت ، شأن الأستاذ الجليل ، استعجبت منه ومن قائله ؛ ولكن عجبني قد يختلف عن عجب الأستاذ ببعض الاختلاف تمجبت من هذا القول ، بل استنكرته ، لأن فيه استخفافاً بقوم من الأقوام ، فكان الأستاذ الجارم ساعده الله يقول في بيته :
« على الرغم من أنك كردي ، أيها القاسم الأمين ، فقد فقت العرب ، وعلى الرغم من أنك غريب فقد سبقت أهل البلاد »
إنني لا أدري إذا كان قاسم أمين كردي الأصل حقاً أم عريباً . ولكنني أستغفل أن ينقص أصله لأنه كردي . فالكردي الذي يشقي ويدل هو الذي يسرقه أو يجلده أو يبيعه يبيع الرقيق^(١) . . .

« لهذا يجب أن نحفظ أنفسنا من ذلك الشر . . . وأن نكسب الفضيلة بكل ثمن ، وأن نبحث عن فن يساعدنا على ذلك الاكتساب ونمضي حياتنا في دراسته . . . الخ »
وتنتهي المحاورة بخرافة كما تنتهي أغلب محاورات أفلاطون . وهو بصور لنا في هذه الخرافة ما تلقاه النفوس الظالمة الشريرة من عذاب الجحيم !

فإلى اللقاء حيث أقدم لك أشخاص المحاورة وأبدأ الترجمة بعد إذ قدمت لها بتلك المقدمة

« يتبع » محمد موسى طاقا

(١) أهل أفلاطون يمرض هنا بمن باعه يوماً يبيع الرقيق !

ليسوا من حيث الواهب والمؤهلات دون غيرهم من الشعوب . ولئن كنت أسلم مع الأستاذ الجليل ويسلم كل رجل يدين بالديمقراطية ويخضع لسلطان العقل والعلم ، بأن « المرء بفضلته لا بأصله » وأن « الانسان — كما قال بدیع الزمان — من حيث يوجد لا من حيث يولد » . بيد أنني لا أرى مجالاً لهذا الاستشهاد بصدد أصل قاسم أمين ، لأنه ليس يزري بقاسم أمين أن يكون كردياً لا من حيث العلم والفضل ، بل من حيث النبت والأصل

فهل طيب الأرومة وكرم المنصر وقف على قوم دون قوم وعرق دون عرق ؟

إنني كما ينتقد الأستاذ الجليل من يقول من أبناء فرنسا مباهاياً « أنا فرنسي ، أنا ابن القول » آخذ أيضاً على كل من يقول من المتكلمين بالعربية : « أنا عربي ، أنا من نسل حيطان أوعدنان » بمرض الفاخرة على غيره من أبناء العربية المستعربين ، أكراداً كانوا بالنسب ، أم شراكسة ، ألباناً ، أم صقلبيين

إنها العصبية تسربت إلى الأستاذ الجارم في بيته « يا فتى الكرد » والعصبية زعة قديمة بعثت حديثاً في بعض البلاد ، كاختفائها في القديم الأديان المأهولة العالمية كالإسلام ، والنصرانية ، وتحاربها الآن جميع المذاهب التي ترى إلى التقريب بين بني الإنسان وإحلال الوئام والسلام محل البغضاء والخصام

لقد كانت العصبية في الجاهلية مبدأ سائداً تقوم عليه الحياة الاجتماعية والسياسية فقد كانت الوحدة القبلية قبل الاسلام شبيهة بالرابطه تجمع بين أفراد الدولة الواحدة في عهدنا هذا . وقد بعثت العصبية من جديد في عهد بني أمية ، بالرغم من مخالفتها روح الاسلام لفساد سياسية ، خلاصتها دعم العرش الأموي ومقاومة خصوم الأمويين من آل البيت الذين كان أكثر دعائهم وأقوي أنصارهم من غير العرب وجلهم من الفرس والاكرد اضمحلت العصبية بعد بني أمية . ولم يعد لها أثر يذكر إلا في الأدب العربي . وخاصة في الشعر لأسباب لا محل لتفصيلها الآن أجلها تقليد الأوائل ولا سيما الجاهليين

ولئن قامت في بعض البلاد الأوروبية نزعات ومذاهب تشبه العصبية العربية كالقوسية . « racisme » في ألمانيا فهي تبرر عند أدبائها على الأقل بأسباب حيوية لا نظير لها في البلاد العربية — ما خلا فلسطين التي نزلت بها من الصهيونية نازلة خاصة —

العربية آمالها لتحرر وتقوي وتستعيد مجدها الغابر ، لا يمكن أن تتخذ العصبية أو القومية لها سماعاً . وليس من العقل والحكمة في شيء أن يلجج بصددها بفكرة الجنس والعرق لأن الأقوام والآلهة بها البسالة الناطقة بالضاد مؤلفة من شتت من الأجناس والأعراق . فالرابطة التي توحد بين أفراد كل أمة من هذه الأمم العربية ليست العصبية أو القومية ، والجامعة التي تقرب بين الدول والأقطار العربية لا يمكن أن تكون أسرة جنسية ، بل إنها رابطة سياسية عاطفية ، قائمة على الإرادة والشعور والمصلحة

أردت من عرض هذه الفكرة أو التذكير بها — لأنها ليست بمجهولة — أن أؤيد ما جاء به الأستاذ الجليل من تفنيد التفريق بين أفراد الأمة الواحدة بحسب أصولهم ، وأبين الخطأ في النظر — لقاسم أمين إذا عدّ كردياً — ولكل من يحسب غير عربي من أشباهه كرجل خامل بنسبه وإن كان ناهياً بحسبه .

فليس بضر القاسم الأمين رحمه الله أو غيره من رجال الأمم العربية أن يكون أصله كردياً ، بمد أن كان أمثال صلاح الدين بطل الشرق والاسلام والعرب ، وكثير ممن تلاه من الملوك الأيوبيين ذوي الفضل العميم على مصر والشام أكراداً ؛ بل له الفخر كل الفخر إذا جاز لإنسان أن يفخر بأصله بجانب فضله أن يمت بالنسب إلى قوم أخرجوا أمثال هؤلاء الرجال وأشباه أولئك الأبطال الذين مازال تاريخ العرب والاسلام والانسانية يباهي بمظمتهم وعبقريتهم . هذا وإني على يقين من أن الأستاذ العالم الجارم لم يقل البيت الذي حملنا على كتابته هذه الكلمة عن عصبية ، أو إيمان بمذهب « القومية » بل اعتقادي أنه نظم هذا البيت من قصيدته تأثراً بنفمة طالما سمعها في شعر العرب ، وتلذذاً من حيث لا يشعر بالطباق بين المعجم (أو الكرد) والأعراب . وقصيدة شاعرنا اللغوي النحوي في جلالة الملك فاروق سليل الأسرة الملوية الألبانية الأصل التي حبت مصر مجدداً طريفاً يضاف إلى مجدها الثالث ، دليل على أن العرب العاربة والعرب المستعربة في نظره سواء

محمد محسن البرازي
دكتور في الحقوق
وأستاذ في الجامعة السورية

دمشق

فقد يكون للألسان بعض المذر بأن يتسلحوا بالقومية لناواة اليهود . لأن اليهود يتظاهرون في كل بلد يقيمون فيه بأنهم من صميم أهله في حين أنهم رغم السنين والقرون تمر عليهم ، ورغم ما يفيدون من البلاد التي تلقنهم وآباءهم قبلهم من حقوق سياسية ومدنية يظنون يهوداً قومياً وعاطفياً تجمعهم جامعة قومية يهودية ، ويعتقدون أمة داخل أمة . على أن العصبية أو القومية — أنى كانت وفي أي زمن وجدت — إذ تتخذ شكل رجحان عرق على عرق وجنس على جنس ، محمقة ظالمة خاطئة ، تنقضها الفكرة الحرة ويفندها العلم وتستنكرها المثل العليا الانسانية

لقد قام الاسلام الذي يدين به أكثر العرب على أساس غير قوي ، فدين الاسلام كما قلنا فيما تقدم عالمي لا قومي ، ومحمد (ص) لم يرسل للعرب وحدهم بل أرسل للبشر عامة ، ولا فضل في نظر صاحب الرسالة « لمربي على صميمي ، ولا لمجمعي على عربي ، ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى » . ولكم نهى النبي (ص) عن العصبية بالتصريح ، فقال « ليس منا من دعا إلى عصبية أو قاتل عصبية »

فاستحقار الأقوام غير العربية بالنسبة للعرب لا يقره إذن الاسلام الذي رفع من شأن العرب وأكسبهم مجدهم الخالد وفي نظر علماء الاجتماع والمتشرعين ما خلا الألمان لا تقوم الأمة على العرق والجنس ، بل إن ما يكون الأمة حقاً الآن بمد أن ضعفت الرابطة الدينية ، ولم يعد الدين المنصر المؤلف للأمم ، هو الرضاء والرغبة في الميث عيشة مشتركة في الحاضر ، مضافة إلى ذكريات ماضية مشتركة ، وآمال مستقبلية واحدة (نظرية دنان) إذن فلا الإسلام يقر مبدأ القومية وتفوق قوم على قوم أو جنس على جنس ، ولا العلم الحديث والمثل العليا الانسانية تؤيد هذا المبدأ وهذه النظرية

ولئن كنا نستنكر ادعاء فئة من الغربيين تفوق العرق الآري — والكرد آريون — على العرق السامي ، فالتنا نأنف أيضاً من الاعتقاد برجحان السامي على الآري . فاستحقار الأقوام غير العربية بالنسبة للعرب لا يقره الإسلام الذي رفع من قدر العرب وأكسبهم مجدهم الخالد ، ولا يقبله العلم ، ولا يرضى عنه الشعور الإنساني . بل إن فكرة الوحدة العربية التي تعلق عليها الأمم